

مخطوطات الكتاب المقدس.. العهد القديم

المقال الرابع

باقي المقال الخاص بمخطوطات مدارج (لفائف) البحر الميت في مغاير قمران

بقلم الأنبا بيشوى

بعد أن حاز نيافة المطران السريانى على المدارج واجهته صعوبتين الأولى هى التأكد من حقيقة اكتشافها فى المغارة والثانية هى قراءتها. وللتأكد من واقعة اكتشافها عهد إلى السيد جورج شعيا الذى عرف الطريق من البدويين أن يرافق الراهب السريانى يوسف أسيا الكعباوى إلى المغارة، فعادا إليه وقالوا أنهما وجدا جرة واحدة وأن فى قاع المغارة الشئ الكثير من أمثال هذه المدارج مفتتاً مع قطع من الخشب والخزف.

وقد استنتج نيافة المطران السريانى أن المدارج هى كتابات دينية وكان مؤمناً أن لها قيمة تاريخية لكنه لم يجد من يشجعه أو يقدر قيمتها، إلى أن جاءه رفيق دراسته الراهب بطرس صوما فأشار عليه بالاتصال بالمدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية. واتصل الراهب بطرس صوما فعلاً بالدكتور جون تريفر نائب مدير هذه المدرسة، الذى تقابل معه واختار المدرج الأكبر لأنه كان ليناً وقابلاً للفتح وفرده بكامله واستأذنه فى نسخ سطرين فسمح له. وبعد دراسة علم أنهما من العامود الحادى والخمسين (أى صفحة ٥١) من مدرج سفر "إشعيا" وهو الفصل (أى الأصحاح) ٦٥ من هذا السفر (حسب التقسيم الحالى لهذا السفر). وبعد ذلك زار الدكتور تريفر الدير الذى كان نيافة المطران السريانى والراهب مقيمين به وأشار بوجوب إرسال صورة فوتوغرافية إلى الدكتور دبليو أولبرايت أستاذ علم الآثار فى جامعة جانس هيكنس بالولايات المتحدة الأمريكية. فجاء الجواب بعد مدة يقول: "أهنئكم من صميم القلب على أكبر اكتشاف عرفته العصور الخالية. لا يخامرنى الشك قط فى أن هذه المخطوطة هى أقدم بكثير من تلك المكتوبة على ورق البردى والمعروفة باسم ناش. وإننى أرجع عهداً إلى حوالى السنة المائة قبل المسيح. فيا له من إكتشاف يكاد لا يصدق. ولحسن الحظ ليس هنالك أقل ريبة من صحة المخطوطة". ولما كانت الأحوال السياسية تزداد سوءاً أشار أعضاء المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية على نيافة المطران السريانى بإنقاذ هذه المخطوطات خوفاً من أن تصادف بعطب أو تقع بأيدي الضياع، فذهب بها الراهب بطرس صوما إلى خارج أورشليم. وفى سنة ١٩٤٨ غادر أعضاء المدرسة الأمريكية أورشليم

بعد أن عقد نيافة المطران السرياني إتفاقية معهم على طبع المدارج ونشرها في الولايات المتحدة. في تلك الأثناء جاء فخامة "هاشم بك الأتاسي" رئيس الجمهورية السورية إلى القلاية البطريركية في دمشق مهناً بهذا الاكتشاف الخطير الذي تم على يد نيافة مطران القدس السرياني والذي كتبت عنه المجالات الفرنسية في باريس وغيرها وشجّع نيافة المطران على الاعتناء بهذه المدارج.

ثم اتصل نيافة المطران السرياني بالدكتور الشيخ بايارد دودج وأعلمه أنه سوف يسافر إلى الولايات المتحدة مبعوثاً من قداسة البطريرك وأنه عتيد أن يأخذ المدارج معه. ويقول نيافة المطران السرياني أنه ما كاد أن يصرّح بعزمه السفر بالطائرة (بسبب إضراب البواخر) حتى قال له الدكتور دودج: "إياك أن تسافر بالطائرة مهما كان الإضراب فإنني أرغب إليك في أن تسافر بالباخرة، فسألته عن سبب هذه الرغبة وهذا الإلحاح، فقال ببساطة الطفل: لا تنس إنك تحمل معك كنزاً ثميناً هو وراثته علمية لا يتمكن العالم من خسارتها بعد أن وجدت. فالسفر بالطائرة معرض لأخطار كثيرة، فإذا -لا سمح الله- احترقت الطائرة أو سقطت في أحد الأماكن، يكون العالم كله قد خسر هذه المدارج التي احتضنتها الأرض أكثر من ألفي سنة". (لا يفوتنا أن ننوه أنه في العصر الحديث الحالى أصبح السفر بالطائرة أكثر طرق السفر أمناً وليس مثل وقت وقوع هذه الأحداث).

وقد زاد هذا الكلام نيافة المطران السرياني تمسكاً باعتقاده في الأهمية العلمية للمدارج ، فسافر بالباخرة تاركاً بيروت إلى الولايات المتحدة في الخامس من كانون الثاني عام ١٩٤٩. وفي الباخرة طلب إعطائه صندوقاً أميناً فلبى الموظف الطلب وأعطاه مفتاح الصندوق حيث حفظ المدارج...

وبعد سفر بالباخرة دام ٢٤ يوماً وصل نيافة المطران السرياني ومعه مدارج قمران إلى ميناء هوبوكن بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث زاره أساتذة المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية الذين سبق له التعرف عليهم في القدس، وطلبوا منه أن يزورهم في جامعة ياييل مركز علمهم لأن بعض الرسوم الشمسية التي كانوا قد أخذوها للمدارج في القدس لم يتوفقوا في تصويرها بحسب المرام فسمح لهم بتصويرها ثانية. وفي جامعة ياييل في نيويورك تم بحث قضية طبع المدارج. وكان لهذا اللقاء أصداء بعيدة المرمى فالأساتذة المذكورون كانوا قد كتبوا عن المدارج الكثير في صحف الولايات المتحدة فتناقلت أقوالهم وكتاباتهم الصحف والمجلات العالمية. وفاتحوا نيافة المطران السرياني برغبتهم بالسماح بعرضها على الشعب الأمريكي فسمح بذلك وكان أول عرض في مكتبة واشنطن ١٠/٢٢-١١/٦/١٩٤٩، ثم في بلتيمور من ١٠-٢٧/١١/١٩٤٩، ثم في مكتبة صهيون ببيروكلن-ماس في ١٠/١٠/١٩٥٠، ثم في جامعة دوكن

بولاية نورث كارولينا، ثم في شيكاغو ١٧-٢٦/١١/١٩٥٠، ثم في متحف الفنون في ووترماس ١-١٩٥١/١١/٣.

وقد أبدى الدكتور وليم أولبرايت أستاذ علم الآثار في جامعة جونز هبكنز في بلتيمور في ولاية ميرلاند رغبته في اقتناء هذه المدارج ليس لنفسه بل للولايات المتحدة لأن كنزاً علمياً كهذا كان يجب أن يبقى في هذه البلاد البعيدة عن الإضطرابات. فحاول نشر هذه الفكرة بين الأمريكيين ولم تلبث الكلمة أن إنتشرت من بلد إلى آخر، حتى أخذت المكتبات والجامعات في أكبر المدن الأمريكية ترسل الطلب في عرضها، لكن كانت هناك عراقيل كثيرة تحول دون الوصول إلى إتفاقات ترضى جميع الأطراف، إلى أن وضع إعلان في جريدة وول ستريت The Wall Street Journal بتاريخ ١٠/٦/١٩٥٤ نصه:

"مدارج البحر الميت الأربعة"

مخطوطات للتوراة يرجع عهدا إلى حوالي ٢٠٠ ق.م. معروضة للبيع. فقد تكون هدية إلى مؤسسة ثقافية أو دينية يقوم بها شخص أو جمعية."

وما مر يوم على الإعلان المذكور حتى أخذت الرسائل ترد ومن بينها رسالة من مدير كيميكال بنك أند ترست كمباني في نيويورك يسأل بيعها إلى مستر سدنى أسترديج نزيل نيويورك فتم الاتفاق على البيع، وفي غضون المحادثة طلب نيافة المطران السريانى من المشتري إبقاء هذه المدارج فى الولايات المتحدة لأن الفضل فى قراءتها ومعرفتها يرجع إلى العلماء الأمريكيين. فأكد أنه هو وأعضاء عائلته قد اتفقوا على هذا الشراء لإبقاء المدارج فى الولايات المتحدة، وقد وثق نيافة المطران بكلامه وانتقلت ملكية المدارج إليه.

وكان هناك شخص اسمه "يجابل يدين" قد جاء إلى الولايات المتحدة فأخذ يقوم من وراء الستار بتمثيل دور المشتري الحقيقى دون أن يظهر على المسرح التجارى حتى تمت الصفقة، وانتهت المعاملة التجارية ووصلت إلى يده مدارج البحر الميت وعاد بها إلى القدس بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٥٥ أى بعد مرور حوالي سبعة أشهر. "أعلن المستر موسى شريت فى المجلس الإسرائيلى: أن مدارج البحر الميت التى وقعت بيد الغرباء -بيد أحد رجال الدين العرب- عادت اليوم إلى القدس حيث كان يجب أن تكون". "وعقبت هذا أنباء أخرى روت تفاصيل الانتقال الغريب من يد إلى أخرى نذكر منها... الحفلة الشائقة التى أقامتها السفارة الإسرائيلىة فى واشنطن للمثرى الكبير والصناعى الشهير د. صمويل غوتسمن Dr. Samuel Gottesman بمناسبة تبرعه بقيمة المدارج وإهدائها إلى دولة إسرائيل لتبقى هنالك ذخراً حياً لهذه الدولة الفتية. وقد علمنا أيضاً من الصحف المحلية أن حكومة إسرائيل شيدت للمدارج محلاً أسمته بالعبرية

"معد الكتاب" راجية أن يؤمه العلماء... لرؤية ما قال عنه بنيامين مازار رئيس الجامعة العبرية بعد وصول المدارج إلى إسرائيل "إننا اليوم -بعد حصولنا على هذه المدارج- أصبحنا نملك أكبر كنز تاريخي في العالم."